

جهود علماء العربية في فقه اللغة :

أولا : جهود العلماء القدامى

قال الثعالبي : (من أحب الله أحب رسوله المصطفى ﷺ ، ومن أحب الرسول صلى الله عليه وسلم أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها) .

عرف العرب منذ فجر نهضتهم الحضارية التي كان الإسلام السبب الرئيس في نشوئها ثلاثة مصطلحات لغوية: 1- العربية. 2- النحو. 3- اللغة .

العربية: تعني كلام العرب الذي صيغ به الشعر ونزل به القرآن الكريم، ثم أصبح مرادفا للنحو عند البعض .

النحو: عرف منذ القرن الأول الهجري ، وذكر في كتاب سيبويه متاخلا مع الصرف وأشتات من الدرس اللغوي .

اللغة: يتعلق هذا المصطلح بالمفردات ودلالاتها، واللغوي هو من يبحث في المفردات جمعا وتصنيفا وشرحا وتأليفا ، لذلك عدّ أصحاب المعاجم لغويين. وقد ميز عبد اللطيف البغدادي اللغوي من النحوي بقوله : " اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما نقله اللغوي ويقيس عليه "فهما كالمحدث والفقهاء فشأن المحدث نقل الحديث برمته ثم إن الفقيه يتلقاه ويتصرف فيه ويبسط فيه علله ويقيس عليه الأمثال والأشباه .

ولم يعرف العرب مصطلح (فقه اللغة) إلا في أواخر القرن الرابع الهجري، حين أطلق أحمد بن فارس (395 هـ) على أحد كتبه اسم (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) ، ثم تبعه أبو منصور عبد الملك الثعالبي (429 هـ) فكتب كتابا سماه (فقه اللغة وسر العربية) ، لكنهما لم يفردا مصطلح فقه اللغة بمدلول خاص .

وإذا لم يكن سوى هذين الكتابين من كتبنا القديمة قد حملا اسم (فقه اللغة) فإن هناك الكثير من الكتب التي تناولت أبحاث فقه اللغة وقضاياها ؛ كالكتب النحوية والصرفية والبلاغية ، والمعاجم وكتب القراءات ، وغيرها .

— لكن أكثر الكتب اتصالا بفقه اللغة حسب مفهومه الحديث هما (الخصائص) لابن جني (392 هـ) ، و (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) للسيوطي (911 هـ) .

كتب فقه اللغة:

أولا : الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها :

(أ) **مؤلفه :** أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (395 هـ) أحد أئمة اللغة والأدب ، له مؤلفات عدة منها : (مقاييس اللغة) و(المجمل) وهما معجمان ، و(ذم الخطأ في الشعر) و(الاتباع والمزاوجة) و(الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها).

(ب) **عنوان الكتاب :** هو أول كتاب أطلق عليه اسم (فقه اللغة) ، وعنوانه مكون من ثلاثة أجزاء ؛ الأول : (الصاحبى) لأنه أهداه الى تلميذه اللغوي الصاحب بن عباد ، والثاني (فقه اللغة) ، والثالث (سنن العرب في كلامها) وأراد بالجزأين الثاني والثالث أصل علم العرب وفرعه ، يقول : (إنَّ لعلم العرب أصلا وفرعا ، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: رجل وفرس وطويل وقصير ، وهذا الذي يبدأ به عند التعلم . وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليئها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب في مخاطبتها وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا) ففقه اللغة يمثل الأصل ، وسنن العرب في كلامها يمثل الفرع .

(ج) **محتويات الكتاب :** قسم ابن فارس كتابه على قسمين رئيسيين :

1- القسم الأول : ضمَّ أبوابا تتعلق بحياة اللغة من حيث نشأتها ، وماهيتها ، وقيمتها ، ومذمومها ، ومأخذها ، والاحتجاج بالعربية ، والخط العربي إلخ ،

وأهم ابوابه :

- باب لغة العرب توقيف أم اصطلاح ، ويذهب مذهب التوقيف .
- باب لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها .
- باب هل يجوز أن يحاط بلغة العرب ، ويرى أنه لا يحيط بالعربية إلا نبي .
- باب أفصح العرب ، وهم عنده قریش .
- باب اللغات المذمومة ، مثل عنعنة تميم وكشكشة أسد .

2- القسم الثاني : يشتمل مسائل متنوعة منها:

- مسائل في النحو: (أقسام الكلام - والنعت - وباب الحروف) .
- مسائل في الصرف: (كباب معاني أبنیه الأفعال - وباب الفعل اللازم والمتعدي) .
- مسائل بلاغية: مثل (باب معاني الكلام - الخبر - الحقيقة والمجاز) .
- مسائل صوتية: وهي منتثرة في الأبواب النحوية و بخاصة في الباب الذي خصصه لدراسة الحروف .
- مسائل دلالية ، مثل المعاني والتطور اللغوي .
- مسائل أسلوبية ، مثل (نظم العرب لا يقوله غيرهم) .

ثانيا : فقه اللغة وسر العربية :

(أ) مؤلفه : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (429 هـ) لقب بالثعالبي نسبة إلى مهنته التي كانت خياطة جلود الثعالب ، نبغ في اللغة والأدب والتاريخ ، وصنف كتباً كثيرة منها : (يتيمة الدهر) ، و (فقه اللغة وسر العربية) ، و (سحر البلاغة) ، و (طبقات الملوك) ، و (الإيجاز والإعجاز) ، و (لطائف المعارف) .

(ب) محتوياته : يبدأ الثعالبي بمقدمة يستهلها بحمد الله والصلاة على نبيه ثم يظهر وجوب دراسة العربية معتبرا أن من احب الله احب رسوله المصطفى

ﷺ ومن احب الرسول احب العرب ومن احب العرب احب اللغة العربية التي بها نزل بيها افضل الكتب على افضل العرب والعجم ومن احب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها ، ولقد خصص الثعالبي القسم الأكبر من هذه المقدمة لمده الأمير أبي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي مبينا أن كتابه إنما سمي بهذا الاسم وفقا لاختيار الأمير الذي أهده إليه .

أما باقي محتويات الكتاب فتقسم إلى قسمين:

(1) القسم الأول: وسمي (فقه اللغة) ، وهو عبارة عن معجم الألفاظ العربية اختارها وجمعها حسب المعنى (معجم معاني) ، وقد تضمن (30) بابا ب (600) فصل ، ومن هذه الأبواب :

- باب في الكليات
- باب في الطول والقصر
- باب في أوائل الأشياء
- باب في اليبس واللين .

(2) القسم الثاني: وسمي (سر العربية) ويشتمل على جوانب متنوعة من الأبحاث اللغوية منها:

- مسائل في النظم والأسلوب ، موجودة في فصول أول هذا القسم وبخاصة فصل تقديم المؤخر وتأخير المقدم ، والحمل على اللفظ والمعنى .
- مسائل في الصرف ، منها فصل في أبنية الأفعال وفصل في الإبدال والاشتقاق.
- مسائل في النحو ، كوقوع حروف المعاني بعضها مكان بعض .
- مسائل بلاغية ، كالاستعارة والتجنيس والطباق والكناية
- مسائل صوتية ، كالاتباع الحركي .

الفرق بين الكتابين ؛ الصاحبى وفقه اللغة وسر العربية :
أوجه الشبه:

- (1) يتفقان في خدمة العلم .
- (2) كل منهما قسم الكتاب في قسمين .
- (3) كل منهما تناول في القسم الثاني مسائل لغوية متنوعة.
- (4) الثعالبي أخذ أبوابا كثيرة من كتاب ابن فارس .

(5) كل منهما استعمل تسمية (فقه اللغة) في عنوان كتابه.

(6) كل منها استخدم (فقه اللغة) بالمفهوم المعجمي.

أوجه الاختلاف:

- (1) الثعالبي لم يتعرض للقضايا العامة التي تطرق لها ابن فارس.
- (2) القسم الأول من كتاب ابن فارس تناول قضايا تاريخية ، أما كتاب الثعالبي فقد كان القسم الأول منه عبارة عن معجم معاني .
- (3) ابن فارس ابتداء كتابه في سبب تسمية الكتاب أما الثعالبي ابتداء بالحمد والثناء.
- (4) من ناحية العنوان يتألف عنوان ابن فارس من ثلاثة أجزاء (الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) أما الثعالبي يتألف عنوانه من جزأين (فقه اللغة و سر العربية) .
- (5) كتاب الصاحب اقدم تاريخا من كتاب الثعالبي .

ثالثا: الخصائص:

أ (مؤلفه : عثمان بن جني الموصلي (392هـ)، ولد في الموصل وتوفي في بغداد ، من مؤلفاته : (الخصائص)، (سر صناعة الإعراب)، (شرح ديوان المتنبي)، (المحتسب) و (التصريف الملوكي) (اللع) ، وأهم مؤلفين هما الخصائص و سر صناعة الإعراب .

ب) محتوياته: يبدأ ابن الجني كتابه (الخصائص) الذي يقع في ثلاثة أجزاء بمقدمة يستهلها بحمد وصلاة ، على عادة كتاب عصره ، ثم يثني على المؤيد بهاء الدولة المهدي إليه الكتاب مبينا له ميزة كتابه من الكتب التي سبقته في مجاله . وتعد محتويات الكتاب ملتصقة التصاقا وثيقا بأبحاث فقه اللغة المعروفة اليوم ، ويمكن إجمالها بالمسائل الآتية :

- مسائل عامة تتضمن البحث في ماهية اللغة ونشأتها وتفرعها وتطورها ، مثل (باب القول على اللغة وما هي - باب في تداخل اللغات - باب القول على اصل اللغة إلهام أم اصطلاح) .
- مسائل منهجية (وقد انفرد بها) : منها (باب الاحتجاج بقول المخالف - باب القول على أجماع أهل العربية متى يكون حجة - باب اختلاف اللغات وكلها حجة) .
- مسائل صوتية: منها (باب المثليين كيف حالها في الأصالة و الزيادة - باب مضارعة الحروف للحركات - باب الساكن والمتحرك) .
- مسائل صرفية: منها (باب الاشتقاق الأكبر وباب الاشتقاق الأصغر - باب في قلب لفظ الى لفظ) .
- مسائل نحوية: منها (باب القول على النحو - باب القول على الأعراب - باب القول على البناء)
- مسائل بلاغية ودلالية : منها (باب الحروف بين الحقيقة والمجاز - باب قوة اللفظ لقوة المعنى - باب أن المجاز اذا كثر لحق بالحقيقة) .

رابعاً: المٌزهر في علوم اللغة وأنواعها :

(ا) مؤلفه : عبدالرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (911 هـ) ، إمام ومؤرخ وأديب ، وله نحو 600 مصنف ، منها (الجامع الصغير ، والألفية في النحو ، والألفية في مصطلح الحديث ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) .

*السيوطي لم يفرق بين العلم والفقه وسماه علم اللغة لأنه لم يفرق بين علم اللغة وفقه اللغة .

(ب) محتوياته : بدأ السيوطي كتابه بمقدمة استهلها بحمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعل مؤلفه في (50) نوعاً أو باباً ، ويمكن أن نجمل مسائل الكتاب بما يأتي :

- 1- مسائل عامة : احتلت القسم الأكبر من الكتاب بخاصة أبوابها الأولى منها (حد اللغة وتعريفها - واضع اللغة - مأخذ اللغات - سبب اختلاف لغات العرب) .
- 2- مسائل صوتية : ومنها (معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف - وفصل في اللثغة) .
- 3- مسائل صرفية : منها (كلامه على الاشتقاق الأكبر الاشتقاق الأصغر - الإبدال)
- 4- مسائل نحوية : (كلامه على الإعراب - وما يذكر وما يؤنث - ذكر الألفاظ التي تقال للمجهول)
- 5- مسائل بلاغية ودلالية : (الاستعارة - معرفة الحقيقة والمجاز - الترادف والأضداد)

الفرق بين كتاب الخصائص والمزهر:

أوجه الشبه:

1. كلا الكتابين اقرب إلى فقه اللغة الحديث.
2. تشابه الكتابين في المضامين.
3. كل من ابن جني والسيوطي ابتدأ كتابه بمقدمة ثم حمد .
4. كل من ابن جني والسيوطي تناولوا مسائل عامة .

أوجه الاختلاف:

1. ابن جني تكلم عن مسائل منهجية لم يتطرق إليها السيوطي .
2. ابن جني قسم كتابه إلى ثلاثة أجزاء أما السيوطي فلم يقسم كتابه إلى أجزاء.
3. نجد ابن جني لم يستخدم مصطلح فقه اللغة وعلم اللغة بخلاف المزهر فقد أشار إلى مصطلح علم اللغة بمعناه المعجمي.

موقع هذه الكتب من فقه اللغة :

بعد عرضنا لهذه الكتب الأربعة لا بد أن نتساءل حول موقع هذه الكتب من كتب فقه اللغة حسب مفهومه الحديث ، وحين نقارن بين هذه الكتب وكتب فقه اللغة عند الغربيين المحدثين نستنتج أن ثمة فروقا تتمثل بما يأتي :

1. إن كلا من علماء فقه اللغة وعلماء العربية الأقدمين درس اللغة بوصفها وسيلة إلى غاية، ولكن هذه الغاية مختلفة، فهي عند الأوائل وسيلة لدراسة لغة القرآن الكريم ، وعند المحدثين وسيلة لدراسة الثقافة والحضارة بما تشتملان عليه من ديانة وعادات وتقاليد وآداب .
2. لم يعتن علماء العربية كعلماء فقه اللغة بإعادة تشكيل اللغات القديمة.
3. علماء العربية درسوا لغتهم بوصفها لغة حية منطوقة، أما علماء فقه اللغة المحدثون درسوا اللغة بوصفها لغة ميتة مكتوبة .
4. القدماء لم يعقدوا مقارنة بين اللغات على عكس علماء فقه اللغة المحدثين.
5. لم يهتم اللغويون العرب بدراسة التطور الدلالي ولا بدراسة اللهجات ، بل قصرُوا درسهم على اللغة الفصحى المشتركة التي نزل القرآن بها على عكس علماء فقه اللغة والسبب في ذلك لقصر المسافة بين عصر وآخر عند اللغويين العرب وأما عند المحدثين علماء فقه اللغة فكانت المسافة طويلة بين عصر وآخر مما أدى إلى التطور الدلالي في الألفاظ وتعدد اللهجات لذلك اهتموا بدراسة التطور الدلالي ، (أما عدم اهتمامهم باللهجات ففيه نظر) .

– يقول عبدة الراجحي : إن الدرس اللغوي القديم يندرج تحت عنوان علم اللغة وليس فقه اللغة ، وهذا القول غير دقيق ؛ لأن هناك فرقا بين منهج علم اللغة ومنهج علماء العربية الأقدمين ، ويتمثل بما يأتي :

- علم اللغة علم وصفي موضوعي ، في حين أن الدرس العربي القديم معياري تعليلي - في أغلبه - .
 - الدرس العربي القديم وإن كان قد تناول مجمل المستويات اللغوية التي يتناولها علم اللغة الحديث غير أنه لم يميز بين هذه المستويات في الدراسة ، فأوردها ممزوجة بعضها مع بعض .
 * فمن التعسف النظر الى الدرس اللغوي عند القدماء بمنظار علماء فقه اللغة المحدثين ؛ لأن هذا الدرس قد شكل منهجا خاصا ومتميزا ، فعلى ان ننظر الى كتب فقه اللغة القديمة من خلال هذا المنهج الخاص .

*** فقه اللغة في أوائل الكتب العربية الحديثة المؤلفة فيه:

كان منهج كتب فقه اللغة المحدثه - ولاسيما الأولى منها - أقرب الى المفهوم القديم لمصطلح (فقه اللغة) من مفهومه الحديث ، ولعله من المفيد ان نقف وقفة قصيرة عند الكتب الثلاثة الأولى التي صدرت في العصر الحديث والتي حملت مصطلح (فقه اللغة) في عناوينها وهي : (فقه اللغة) لعلي عبد الواحد وافي ، و (فقه اللغة وخصائص العربية) لمحمد المبارك ، و (دراسات في فقه اللغة) للدكتور صبحي الصالح .

1 - فقه اللغة ، لعلي عبد الواحد وافي : وهو أول كتاب عربي يحمل هذا المصطلح في العصر الحديث ، وقد عده مؤلفه الجزء الثاني من كتابه (علم اللغة) ، مساويا بين (فقه اللغة) و (علم اللغة) اللذان يشمل كل منهما عنده الفصول المتعلقة بحياة اللغة وعلم اللهجات ودراسة الاصوات وعلم الدلالة وعلم المفردات والصرف والنحو و البحث في اصول الكلمات واساليب اللغة وبحوث اخرى نفسية واجتماعية العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية من ناحية ، وبين اللغة والظواهر النفسية من ناحية اخرى .
 ويتضمن الكتاب تمهيدا في الشعوب السامية ولغاتها ، وستة أبواب هي :

- الباب الأول : اللغات الأكديّة .

- الباب الثاني : اللغات الكنعانية .

- الباب الثالث : اللغات الآرامية.

- الباب الرابع : اللغات اليمنية القديمة.

- الباب الخامس : اللغات الحبشية السامية.

- الباب السادس : اللغة العربية وعناصرها ، وقواعد بنيتها ، وأسلوبها ، وكفايتها ، ومنزلتها ، وصيانتها . وقد شغل المساحة الأكبر من هذا الكتاب

(2) فقه اللغة وخصائص العربية ، لـ محمد بن مبارك : ساوى بين فقه اللغة وعلم اللغة وأقسام علم اللغة عنده هي :

(1) الاصوات التي تتألف منها الالفاظ .

(2) الالفاظ المفردة أو الكلمات.

(3) التراكيب.

(4) فصول أخرى كدراسة تأثير اللغات بعضها ببعض ، ودراسة اللهجات ، والرسم أو الكتابة .

- اشتملت فصول الكتاب على :

(1) دراسة الاصوات اللغوية .

(2) الاشتقاق .

(3) الأبنية والأوزان .

(4) معاني الألفاظ.

(5) وضع الألفاظ ونشأة اللغة.

(6) حياة الألفاظ.

(7) خصائص العربية.

(8) التعريب

(3) دراسات في فقه اللغة ، لصبحي الصالح : لم يفرق فيه بين علم اللغة وفقه اللغة .

– محتوياته : اشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب نقد في المقدمة كتب فقه اللغة السابقة له

– الباب الاول : (فقه اللغة نشأته وتطوره) مساوياً فيه بين فقه اللغة وعلم اللغة، ومعرفاً فقه اللغة .

– الباب الثاني : العربية بين اخوتها السامية ، درس فيه أشهر فصائل اللغات ولمحة تاريخية عن اللغات السامية ، والعربية الباقية وأشهر لهجاتها ، ولهجة تميم وخصائصها .

– الباب الثالث : خصائص العربية الفصحى ، ومقاييس اللغة الفصحى وظاهرة الاعراب ، ومناسبة حروف العربية لمعانيها ، وأنواع الاشتقاق ، والنحت ، والأصوات العربية وثبات اصولها ، واتساع العربية في التعبير ، وتعريف الدخيل ، والعربية في العصر الحديث . معتمداً في معالجة هذه الموضوعات على الكتب القديمة عموماً .